هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَثْنَى عَلَى عِبَادِهِ الْمُحْسِنِينَ، وَأَوْرَثَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَأَكْرَمَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْأَمِينُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ. **أَمَّا بَعْدُ:** فَأُوصِيكُمْ **عِبَادَ اللَّهِ** وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، فَهُوَ الْقَائِلُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿**وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[1].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ غَلِيظٌ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً. فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ. **ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ**[2]. ذَلِكُمْ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يُعَلِّمُنَا أَنْ نُوَطِّنَ أَنْفُسَنَا عَلَى الْإِحْسَانِ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ نُحْسِنُ، وَإِنْ أَسَاؤُوا لَا نُسِيءُ، فَالْإِحْسَانُ قِيمَةٌ مُلَازِمَةٌ لِأَهْلِهَا، فِي حَالِ الْمَوَدَّةِ وَالْقَطِيعَةِ، وَالْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، فَإِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ لَهُ وَهُوَ فِي مِحْنَتِهِ: ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[3]، وَلَمْ يَتَخَلَّ عَنِ الْإِحْسَانِ حِينَ سَمَتْ مَنْزِلَتُهُ، وَعَلَتْ مَكَانَتُهُ، إِذْ قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[4]، وَمَعْنَى الْإِحْسَانِ: الزِّيَادَةُ فِي الْبِرِّ، بِأَنْ تُعْطِيَ لِلْآخَرِينَ أَكْثَرَ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْكَ؛ طَاعَةً لِلَّهِ،

وَاسْتِجَابَةً لِأَمْرِهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾[5] وَلَقَدْ جَسَّدَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعْنَى الْإِحْسَانِ، اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحْسِنُ إِلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ، فَأَسَاءَ مِسْطَحٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَأَهْلِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: "**وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا**"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[6]؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: "**بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا**"[7]. فَشِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ: سَنَبْقَى مُحْسِنِينَ، لَا تَمْنَعُنَا إِسَاءَاتُ الْمُسِيئِينَ، عَمَلًا بِقَوْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ**﴾[8]. وَمَهْمَا وَجَدَ الْمُحْسِنُونَ فِي طَرِيقِهِمْ مِنْ عَقَبَاتٍ، فَإِنَّهُمْ يَتَخَطَّوْنَهَا بِثَبَاتٍ، مُوقِنِينَ أَنَّ وَرَاءَهَا خَيْرًا كَثِيرًا، وَفَضْلًا كَبِيرًا. **عِبَادَ اللَّهِ:** إِنَّ مَجَالَاتِ الْإِحْسَانِ مُتَعَدِّدَةٌ، وَصُوَرَهُ مُتَنَوِّعَةٌ، وَأَعْظَمُهَا مَا كَانَ تُجَاهَ الْوَالِدَيْنِ، بِرًّا بِهِمَا، وَقِيَامًا بِحَقِّهِمَا، ثُمَّ يَتَّسِعُ مَيْدَانُ الْإِحْسَانِ لِيَشْمَلَ الْأُسْرَةَ، تَمَاسُكًا وَرِعَايَةً، وَمَوَدَّةً وَعِنَايَةً، ثُمَّ يَتَتَابَعُ الْخَيْرُ وَالْإِحْسَانُ، لِيَعُمَّ كُلَّ إِنْسَانٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾[9]، فَالْإِحْسَانُ سِمَةُ الْمُجْتَمَعِ الرَّاقِي، الَّذِي يُطِيعُ رَبَّهُ، وَيَقْتَدِي بِهَدْيِ نَبِيِّهِ، وَنَهْجِ قِيَادَتِهِ، وَيَتَمَسَّكُ بِقِيَمِهِ، وَيُعَبِّرُ عَنْ طِيبِ مَعْدِنِهِ. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[10].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُونَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحْضِرُ إِحْسَانَ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَيَدْفَعُهُ ذَلِكَ إِلَى الْإِحْسَانِ إِلَى غَيْرِهِ؛ عَمَلًا بِقَوْلِ رَبِّهِ: ﴿**وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾[11]، وَلِمَ لَا؟ فَقَدْ رَغَّبَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ فِي الْإِحْسَانِ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ إِحْسَانَهُمْ، وَلَا يُضِيعَ أَجْرَهُمْ، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[12] بَلْ يَجْزِيهِمْ بِمَا قَدَّمُوا، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ كَمَا أَحْسَنُوا، وَتِلْكَ سُنَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ، ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[13]، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الشَّاعِرِ[14]:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ * لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ**

وَيُعْلِي اللَّهُ لِلْمُحْسِنِينَ مَكَانَتَهُمْ، وَيَرْفَعُ قَدْرَهُمْ، وَبِحُبِّهِ يَشْمَلُهُمْ، فَقَدْ كَانَ الْأَنْصَارُ يُحْسِنُونَ وَيُعْطُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى أَصَابَتْهُمْ شِدَّةٌ وَجَدْبٌ فَأَمْسَكُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[15] وَيَكْلَؤُ سُبْحَانَهُ الْمُحْسِنِينَ بِرِعَايَتِهِ، وَيَنْشُرُ لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[16]، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّاتِ، وَيَمْنَحُهُمْ أَفْضَلَ الْعَطَايَا وَالْهِبَاتِ، وَيُكْرِمُهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[17]. وَإِنَّنَا فِي شَهْرِ شَعْبَانَ، شَهْرِ الِاسْتِعْدَادِ لِرَمَضَانَ، بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَالصِّيَامِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَتَنْقِيَةِ الْقُلُوبِ، طَمَعًا فِي مَغْفِرَةِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُحْسِنِينَ، وَعَنِ الْإِسَاءَاتِ مُعْرِضِينَ، وَأَكْرِمْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ. وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ الْأَكْرَمِينَ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا مَسْأَلَتَهُ، وَتَشْرَحَ

صَدْرَهُ، وَتُيَسِّرَ أَمْرَهُ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا نَصِيبًا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ تَقْسِمُهُ، وَمِنْ كُلِّ رِزْقٍ تَبْسُطُهُ، وَمِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ تَنْشُرُهَا، وَمِنْ كُلِّ سَعَادَةٍ تُدِيمُهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي شَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِكَ مُؤْمِنِينَ، وَلَكَ عَابِدِينَ، وَبِهَدْيِ نَبِيِّنَا مُقْتَدِينَ، وَإِلَى خَلْقِكَ مُحْسِنِينَ، وَبِوَالِدِينَا بَارِّينَ، وَارْحَمْهُمْ كَمَا رَبَّوْنَا صِغَارًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ: الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ.

عِبَادَ اللَّهِ: اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ.

---

(1) النساء: 128.

(2) متفق عليه.

(3) يوسف: 36.

(4) يوسف: 78.

(5) النحل: 90.

(6) النور: 22.

(7) متفق عليه.

(8) المؤمنون :96.

(9) النساء : 36.

(10) النساء: 59.

(11) القصص: 77.

(12) التوبة: 120.

(13) الرحمن: 60.

(14) اصطناع المعروف لابن أبي الدنيا ص: 63 من قول الحطيئة.

(15) صحيح ابن حبان: 4302. والآية من سورة البقرة: 195.

(16) الأعراف: 56.

(17) يونس: 26.